

## العتبات النَّصِيَّة: قراءة في رواية حضرة الجنرال لكمال قرور

أ.د./رشيدة بودالية.

جامعة البويرة

تمهيد:

من قال أنّ الأنظمة بديكتاتوريتها قد استطاعت أن تخرس ألسنة النَّخبة في الوطن العربيّ، وأنّ الأفلام قد توقفت عن إبداء رفضها للوضع المزريّ التي تعانیه المجتمعات العربيّة من كلّ النَّواحي، وأنّ لأدب إبداع لقصاص الحبّ وتخليدُ لها فقط، وأنّ المبدع لا يساير الأحداث المتلاطمة الجوانب؛ وأنّه فرد يؤثر التّفوق في عالم الأحلام الرّومانسيّة التي يستحيل تحقيقها؛ من قال ذلك فقد افترى كذبا، أشاع تهمة على المبدع العربيّ عامّة، والمبدع الجزائريّ خاصّة؛ بدليل ما هو بين أيدينا اليوم من إبداع فيّ متمثّل في رواية "حضرة الجنرال" لكمال قرور، والتي تحمل في طياتها نقدا لاذعا ومباشرا للأوضاع التي تعيشها الجزائر وغيرها من الدّول العربيّة؛ وتدرج هذه الرّواية في إطار الرّواية السّياسيّة على الرّغم ممّا تحمله من انتقادات لجوانب عدّة في حياة الأفراد في المجتمع؛ لأنّ الجميع يدرك أنّ السّياسة عندنا تحشر أنفها في كلّ مجال من مجالات الحياة، لهذا تحمل الرّوائي عبء الحديث عن كلّ شيء يتعلّق بالفرد العربيّ، مصوّرا كلّ ما يثقل كاهله من جرّاء ما لحقه من ظلم وتعتسف، وحقرة ونهب وانتهاك للحقوق.

يمثّل هذا البحث محاولة لقراءة العتبات النَّصِيَّة التي احتوتها رواية "حضرة الجنرال": لأنّ الوقوف على عتباتها النَّصِيَّة أمر ضروريّ لمحاولة استخلاص ما تحمله من معان، وما يصبو إليه الرّوائي من وراء توظيفها، والأمر مجرد قراءة ولا يُدرج ضمن النّقْد الأدبيّ؛ فهذا مجال له أصحابه ومختصّوه، وهم أكثر دقّة وموضوعيّة في هذا المجال؛ كما أنّها قراءة نحاول من خلالها ربط العلاقة بين العتبات والعمل الرّوائي، ودورها في تطوير الفعل الحكائيّ، أو الأحداث، لذا وسم عنوان البحث بـ: العتبات النَّصِيَّة: قراءة في رواية حضرة

الجنرال. والسؤال المطروح: لماذا التّركيز على العتبات النّصّية؟

### مفهوم العتبات النّصّية:

تمثّل هذه العتبات فضاءً يشمل كلّ ما له علاقة بالنّصّ، وهي تمثّل البوابات والمدخل؛ تجعل المتلقّي يمسك بالخطوط الأساسيّة التي تمكّنه من قراءة النّصّ وتأويله؛ لأنّها تربط علاقة جدليّة مع النّصّ بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، لقد صارت العتبات نصوصاً لها صلات وديّة مع النّصّ؛ لأجل الإعلان عن سرّه، والكشف عنه؛ لأنّها المدخل الطّبيعيّ إليه، وهي ترشد القارئ إلى طريق التّواصل معه؛ إذ تمكّنه من تحديد العناصر المؤطّرة لبنائه أو معماريّته، والمحيطه به، وبعض طرائق تنظيمه، وتحقّقه التّخيّل من جهة أخرى؛ أي أنّها تحمل في طيّاتها وظيفة تأليفيّة تحاول كشف استراتيجيّة الكتابة عند المبدعين<sup>1</sup>، لهذا تحوّل الاهتمام بمجموعة النّصوص التي تحقّز المتن، وتحيط به؛ فولّد علما جديدا له دوره في الإحالة إلى قصديّة ما.

والعتبات المتعدّدة والمتنوّعة في أيّ نصّ روائيّ أو شعريّ؛ معبر ينفذ منه المتلقّي إلى النّصّ، وأوّل مؤشّر له دلالاته على عالم النّصّ الإبداعيّ، ووسيلة إغراء يقبل عليها القارئ لاكتشاف عوالمه. والعتبات كثيرة منها: العناوين الرّئيسيّة، والعناوين الفرعيّة، والمقدّمات والذّيول، والصّور والتّمهيد، وكلمات النّاشر، والتّعليقات الخارجيّة<sup>2</sup>، ويرى جيرار جينات في كتابه عتبات أنّها ما يصنع به النّصّ من نفسه كتابا، ويقترح ذاته بهذه الصّفة على قرائه، وعلى الجمهور عموما، أيّ ما يحيط بالكتاب من سياق أوليّ، وعتبات بصريّة ولغويّة<sup>3</sup>. وأوّل عتبة تشدّد القارئ في رواية حضرة الجنرال هي:

### الغلاف:

يعتبر الغلاف أوّل شيء ملفت للانتباه بمجرد أن يحمل الرّواية بين يديه؛ لأنّه العتبة الأولى من عتبات النّصّ؛ "فالغلاف الخارجيّ أهمّ عتبة يواجهها القارئ للدّخول إلى عالم

<sup>1</sup> - ينظر: مدخل إلى عتبات النّصّ، دراسة في مقدّمات النّقد العربيّ القديم، عبد الرزّاق بلال، أفريقيا الشّرق، المغرب، د ط، 2000م، ص: 21 وما بعدها.

<sup>2</sup> - ينظر: صورة العنوان في الرّواية العربيّة، عبد المالك أشهبون، محاكاة للنّشر والتّوزيع، دمشق، ط1، 2001م، ص: 50.

<sup>3</sup> - ينظر: عتبات جيرار جينيت من النّصّ إلى المناس، عبد الحقّ بلعابد، منشورات الاختلاف، دار العلوم العربيّة للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2000م، ص:

الرواية، وهو يحمل كما هائلا من الشّفرات القابلة للتأويل، أو بتعبير أدقّ الغلاف الخارجي من أهمّ عناصر النّصّ الموازي الذي يفتح أمام المتلقّي أبواب تناول النّصّ السّرديّ من عدّة مستويات دلالية: بناء، وتشكيلا، ومقصديّة، وهو الذي يوضّح بؤره الدلالية من خلال عنوان خارجيّ مركزيّ، أو عبر عناوين فرعيّة تترجم لنا أطروحة الرواية أو مقصديّتها أو تيمات الدلالية العامّة، وغالبا ما نجد على الغلاف الخارجيّ اسم المؤلّف، وعنوان مؤلّفه، وجنس الإبداع، وحيثيات الطّبع والنّشر، علاوة على اللّوحات التّشكيلية، وكلمات النّشر أو المبدع أو النّاقّد؛ تزيّ العمل وتثمنه إيجابا، وتقديما وترويجا.<sup>1</sup> ممارسة بذلك سلطة الإغراء والإغواء على المتلقّي؛ والغلاف عمليّة ضروريّة للولوج إلى أعماق النّصّ قصد معرفة مضمونه، وأبعاده الإيديولوجيّة الفنيّة والجماليّة، لأنّه -كما أشرنا- أول ما يواجه القارئ قبل عمليّة القراءة والتلذذ بالنّصّ؛ لهذا لا يمكن الاستغناء عنه لمدى أهميّته، ويمكن اعتبار العناوين وأسماء المؤلّفين، وكلّ مؤشّر على الغلاف الأماميّ داخله في تشكيل المظهر الخارجيّ للرواية، كما أنّ ترتيب واختيار مواقع كلّ هذه الإشارات لا بدّ أنّ تكون له دلالة جماليّة أو قيمة؛ فوضع الاسم أعلى الصّفحة لا يعطي الانطباع نفسه الذي يعطيه وضعه في الأسفل.<sup>2</sup> وللغلاف الخارجيّ للعمل الأدبيّ واجهتان أماميّة وخلفيّة.

في رواية "حضرة الجنرال" نستحضر في الغلاف الأماميّ: الصّورة، الجنس الأدبيّ "رواية"، مقطع مستشهد به مقتطف من نصّ الرواية، العنوان الرّئيسيّ، أتبع بعنوان فرعيّ، اسم المؤلّف، ودار النّشر. في الغلاف الخلفيّ: مقطع آخر طويل نوعا ما للاستشهاد، الصّورة الفوتوغرافيّة للرّوائي، شهادات إبداعية، دار النّشر، واسم مصمّم الغلاف.

### أ- الصّورة:

يحتاج الرّوائيّ إلى الصّورة لأنّها تعتبر لمسة جماليّة في حقل من الرّموز والإشارات، "تتأزّر لتكوين نوع من السرد البصريّ لفكرة مقتطعة، ومشهد مختار؛ يحمل رسالة لمتلق نشط واع في العديد من المجالات العلميّة والمعرفيّة والثّقافيّة؛ فهي عنصر واع مرتبط بالإدراك

<sup>1</sup> السيميوطيفيا والعنونة، د/ جميل حمداوي، عالم الفكر، الكويت، مج: 25، العدد: 03، 1997 م، ص: 107.

<sup>2</sup> ينظر: مدخل إلى عتبات النّصّ، عبد الرزّاق بلال، ص: 21.

والوعي والخيال والفهم، وهي أيسر السبل إلى المعرفة.<sup>1</sup> وبذلك تمنح الصّور التي يرفقها المبدع عمله؛ الحيويّة والحركة التي تقلّل من رتابة النّصّ اللّغويّ، وتشعر القارئ ببعض عناصره، هذا بالإضافة إلى قدرتها على القيام بعملية التّواصل بينها وبين المتلقي، ومدى مساندتها للنّصّ المصاحب؛ فقد أوجدها الفنان ووظّفها لمعاونة القارئ على فهم النّصّ المصاحب لها.

صورة الغلاف في رواية حضرة الجنرال يوجد في الأعلى نصف وجه، وما يظهر بشكل جليّ فيه هو العين التي تنظر نحو اليسار نظرة مليئة بالكره أو الحقد، في التّظرة الخاطفة الأولى؛ كأول قراءة تتبادر إلى الذّهن عند رؤية الصّورة وربطها بالعنوان الرّئيسي؛ هي اعتبار العين عين الحاكم نفسه؛ الذي لا تنام لعدّة أسباب كما ورد في الرواية: كشدّة الخوف من الذين يترصّون به للإطاحة بحكمه، أو التّرقّب الدائم لمن سيغدر به في أيّ لحظة كما غدر هو بالآخرين، أو أنّ كلّ شيء تحت السّيطرة، فلا يفوته أمر أو حدث قد يززع إمبراطوريّته.

غير أنّ المتمعّن في الصّورة يجد الوجه وجه امرأة، وأنّ العين عين امرأة، وليست عين رجل، وهنا تنتاب القارئ حيرة، وتساؤل: لماذا عين امرأة والرواية تحكي سياسة جنرال؟! تتوضّح دلالة الصّورة بعد قراءة الرواية لتتعرّف على النّساء اللواتي صاحبن الجنرال في الرواية، وكنّ يمثلن غصّة تقف في حلقه، وعقبة ضدّ تحقيق مآربه السّياسيّة، ورغباته السّلطويّة المتسلّطة، ونزواته الشّخصيّة؛ وهنّ سعدى الأميرة الرّناتية، وستّ الغرب أخت الرّناتية، والجازية الأميرة الهلالية؛ ففي كلّ محطة من محطات الحكم الظّالم للجنرال هناك امرأة؛ تقف حائلا أو حاجزا دون منحه لذّة التّمتع بالحكم، ودون تحقيق شهوة الانتصار الكامل؛ وبسبب ما عاناه مع هؤلاء النّسوة؛ يرى أنّ حكمه وأحلامه وحياته دائما ناقصة، وخلاصة القول هنّ اللواتي كنّ يرقبهن.

ثمّ نجد في الصّورة القبة العسكريّة وتحته المسدّس، أداتان عسكريّتان، وعلامتان تشيران إلى أنّ الحكم في الوطن العربيّ حكمٌ عسكريّ، وتسيير البلاد بالحديد والنّار منذ الاستقلال عن الاستعمار إلى يومنا هذا، على الرّغم من أنّ الحكم يبدو في ظاهره حكما

<sup>1</sup>Les sciences de la communication que sais – je? Judith Lazar ; 2eme ed ; Paris ; Presses universitaire ; Alger ; Dahleb ; 1993 ; P : 45

مدنيًا، وديموقراطيًا، وفيه مجالس شورى كالبرلمان ومجلس الأمة؛ "وذلك طبيعي في الحكومات الديموقراطية التي اخترعها عصرنا للتغريب بالمواطنين السذج..."<sup>1</sup> لأنّ القرار السياسي في النهاية يعود إلى لغة الحديد والتّار؛ التي يمارسها القادة العسكريون الذين يصنعون القوانين، ولهم اليد الطّولى، والسّيادة العليا في حكم الأوطان وتسييسها، وإدخالها في متاهات وأزمات اقتصادية، وسياسية، والأزمات الأمنية والفكرية والاجتماعية، وإشغال النّاس بأمور تبعدهم عن مشاغل الحكم، وتشغلهم عن السياسة، وتدلّنا هاتان العلامتان أيضًا على أنّ منطلق الفكر الإيديولوجي عند الحاكم العربيّ هو فكر عسكريّ بحت، وأنّ الحكم لا يكون إلاّ بالقوّة، وذلك حتّى يغرس الخوف في نفوس الرعيّة، لأنّ الخوف في نظر الحاكم الطّاغية "مثل الخبز؛ لا يفعل فعله في الإنسان إلاّ عندما يصبح داخله... الفرق بين الخبز والخوف هو أنّ الكثير من الخبز يبطر الإنسان، ويجعله يتفرعن، أمّا الكثير من الخوف فإنّه يحشر الإنسان في حجمة الحقيقيّ كدافع الضّرائب لا يتأخّر، لذلك وضعت رعاياي أمام المسدّس، وتأهبت للتّسديد."<sup>2</sup>

### ب - العنوان:

يعدّ أهمّ عتبة ملفّته لانتباه القارئ والنّاقد والمحلّل، ويمثّل نصّاً إبداعياً لما يحمله من مضامين مكثّفة للنّصّ الإبداعيّ، لهذا "يعدّ نظاماً سيميائيّاً ذا أبعاد دلالية، وأخرى رمزيّة تغري الباحث بتتبّع دلّالته، ومحاولة فكّ شفراته الرّامزة."<sup>3</sup> قصد الولوج إلى مضمون النّصّ واستيلاء محتواه. بقراءة سريعة لمعنى العنوان في اللّغة فهو يعني الظّهور والاعتراض، والقصد والإرادة<sup>1</sup>، بهذا المعنى فرض العنوان الرّئيسيّ لرواية "حضرة الجنرال" نفسه على القارئ عندما ظهر خطّه بالشّكل السّميك؛ حتّى يجعله صاحبه بارزاً وملفتاً لانتباه القارئ، وفيه إغراء، لأنّ العنوان في الدّراسات النّقديّة الحديثة يمثّل "عتبة قرائيّة وعنصر من عناصر النّصّ الموازي؛ التي تسهم في تلقّي النّصوص وفهمها وتأويلها داخل فصل روايّي

<sup>1</sup> - زعيم الأقلية الساحقة، عبد العزيز غرمول، دار القصة للنشر، الجزائر، د ط، د ت، ص: 12.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 36.

<sup>3</sup> - سميّاء العنوان، بسلام قطوس، وزارة الثقافة، عتّان، ط 1، 2001م، ص: 12.

شموليّ بفعل العلاقات الكائنة والممكنة بينها.<sup>2</sup>

ولمجرد قراءة عنوان الرّواية؛ سيطرح القارئ على نفسه أسئلة كثيرة: من يكون الجنرال المقصود في الرّواية، وبلادنا - كما نعلم - مليئة بالجنرالات؟ ثمّ كلمة "حضرة" التي لا نعرف المقصود منها إلاّ بسماعها منطوقة بتنغيم معيّن؛ فهل تدلّ - هنا- على السّخرية، أم على الاحتقار، أم على الاحترام؟ أم على التّجبر والتّكبر؟ إذن فلا بدّ من قراءة الرّواية لمعرفة مدلولها. ويظهر خطّ العنوان الأكثر بروزاً عن غيره من الخطوط الموجودة على الغلاف، للدلالة على السّيطرة المطلقة التي فرضها الحاكم الديكتاتوريّ على شعبه.

سُيقّ العنوان بمقطع استشهاد "تعبت من الحروب وتعبت الحروب منّي". هو خلاصة الوضع في الوطن العربيّ؛ لم تمرّ عليه فترة إلاّ ودخل في حرب؛ ليس شرطاً أن تكون هذه الحرب مع الأعداء، وليس شرطاً أن يكون فيها سلاح، إنّما هي حرب الصّراع الدائم الذي لم يتوقّف منذ قرون، صراع من أجل الحكم والسّلطة، صراع خلقته الفتن والوشايات والإيقاع بين أبناء الوطن الواحد، صراع أوجده الإرهاب، صراع حول الحدود، صراع مع الدّول المتكالبّة التي تسعى إلى نهب خيرات البلاد وثرواتها، صراع نعيشه اليوم ما بعد التّربيع العربيّ، وهكذا لا يهنا الوطن ولا شعبه ولا حكامه بالسّلم والأمن والهدوء.

تحت العنوان الرّئيسيّ توجد عبارة شارحة: "التّخرية الرّسمية للزّعيم المفدى ذياب الرّعيّ كما رواها غارسيا ماركيز"، تستوقفنا في العبارة ثلاث محطّات هي:

### 1 - التّخرية الرّسمية:

تحيل العبارة إلى "التّخرية الهلاليّة"، وتمثّل تغريبة بني هلال الجزء الأخير من السّيرة الهلاليّة الكبرى. "وسيرة بني هلال الملحمة التي تمثّل الشعب العربيّ، وتبرز فضائله ومزاياه، وتبيّن طريقته في التّعبير عن وجدانه القوميّ".<sup>3</sup> وتوظيف التّراث الشّعبيّ في الرّواية يظهر مدى وعي الرّوائيّ بالتّراث، ليجعله جسراً رابطاً بين الماضي والحاضر؛ بحيث أخرج التّراث

<sup>1</sup> - ينظر: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ج4، مادة: عن.

<sup>2</sup> - العنوان في الثقافة العربيّة: التّشكيل ومسائل التّأويل، محمّد بازيّ، دار الأمان، منشورات الاختلاف، دار العربيّة للعلوم ناشرون، الرباط، د ط، 2012م.

ص: 15.

<sup>3</sup> - دفاع عن الفولكلور، عبد الحميد بونس، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مصر، 1973م، ص: 176.

من دلالاته الموروثة إلى دلالات جديدة، وخلق بذلك مجالا للتفاعل بين الأزمنة، فماضي السيرة صراع حول السلطة، ووضع اليد بالقوة على الخيرات والثروات، ثم أصبح للتغريب طاقة تأثيرية جديدة، وحضورا فاعلا في التعبير عن الواقع؛ الذي هو أيضا صراع حول الحكم ورغبة في امتلاك الثروة، وكسب الأموال الطائلة بالقوة، والارتداد إلى الماضي من الأمور الفعالة في عملية الإبداع؛ بحيث يعقد النص الجديد علاقة حوار مع النص القديم، وتوظيف التغريب شمل ثلاثة أبعاد حوتها الرواية:

أ - البعد التاريخي المسجل للأحداث.

ب - البعد الشعبي الخرافي الأسطوري المتلون باللون الشعبي على الرغم من ارتكازه على الواقعية الحقيقية.

ج - البعد الاجتماعي الثقافي النفسي الذي حوى الحقيقة والخيال؛ التي تمثل المتغير من خلال تعاقب الأجيال، والذي استغله الروائي، وجعله متداولاً ليحكي واقع الناس الاجتماعي والنفسي الذي تحللت فيه جزئيات التاريخ والأسطورة وأخذ منها بعده الإنساني الجديد<sup>1</sup>. والروائي تعمّد قصدا تغيير حرف الغين بحرف الخاء؛ فتغيّرت دلالة الكلمة لتخدم الرواية، والمسار الذي رسمه لها؛ ففي الحقيقة نحن نعيش خرابا أو تخريبا على جميع الأصعدة.

## 2 - الزعيم ذياب الزغبي:

القائد في السيرة الهلالية له شأو عظيم، وتبدو القبيلة لا شيء في غياب قائدها؛ الذي يمثّل رأيها وإرادتها، ولذلك تتفانى في الدفاع عنه؛ لأنّ إرادة البطل تعكس إرادة الجماعة<sup>2</sup>. وكثُبت التاريخ في كثير من الأحيان ما روت عن الهلاليين أنهم قوم همج، وما مرّوا على أرض إلا وتركوها خرابا، فجاءت السيرة الهلالية لتروي "قصّة حركة دائمة؛ تدفع أبطالها إلى الأمام من خلال مجازفة عجيبة وهائلة؛ يسودها القتال والحرب التي «تشيب رؤوس الأطفال»،

<sup>1</sup> - ينظر: تغريبة بني هلال بين التاريخ والروايات الشفهية الهلالية الجزائرية، الطالب: بوخالفة عري، رسالة دكتوراه الدولة، إشراف: دة/ روزلين ليلي قريش، جامعة الجزائر، 2003م، ص: 51.

<sup>2</sup> - ينظر: الهلالية في القارئ والأدب الشعبي، د/ عبد الحميد بونس، مطبعة جامعة القاهرة، 1956م، د ط، ص: 82.

والتهب والسلب، والاستئثار على الثروات، والاستيلاء على بلدان عظيمة،<sup>1</sup> لذا نجد شخصية ذياب الزعبي تعكس صورة الهلاليين القائمة في التاريخ، وتجسد الخداع والقرصنة والارتزاق والدّم والتخريب، وعرف عن ذياب بن غانم بالإضافة إلى فروسيته وشجاعته المنقطعة النظير؛ حيلته الواسعة، ويؤخذ عليه أنّه كان أنانيًا لا يؤثر أحدا على نفسه، وهذا ما سبّب له المتاعب في حياته، وحرمه من الوصول إلى المجد الذي كان يحلم به. ورغم بطولات ذياب العديدة إلا أنّه لم يلق نفس الشهرة التي لاقاها الأمير أبو زيد الهلالي، وذلك لما أخذ عليه من تسرع وتهور؛ إضافة إلى الأنانية التي دفعته إلى منافسة الأمير الحسن في حكم تونس؛ تلك المنافسة التي أدت به في نهاية المطاف إلى قتل الأمير الحسن بن سرحان وقتل أبي زيد الهلالي<sup>2</sup>، لهذا اختار الروائي هذه الشخصية بالذات، واتخذها كحيلة فنية يتخفى وراءها ليحكى واقعا مريرا، وليجعلها تتقمص حقيقة شخصيات سياسية سواء زاولت الحكم وولّى عهدها، أو شخصيات ما زالت تزاوّل الحكم بديكتاتورية ظالمة.

### 3 - غارسيا ماركيز:

شخصية ثانية يتخذها الروائي حيلة فنية أخرى للتخفي، ويحملها ذياب الزعبي مسؤولية حكاية سيرته؛ سيرة ديكتاتور عربي، ولم يعهد عن القادة العرب ساسة كانوا أو عسكريين أو أرباب أعمال جرائهم في كتابة سيرهم بوقائعها الحقيقية التي صنعتها أيديهم الأثمة الملتخعة بالدم، وقلوبهم المملوءة بالنفاق، وأعمالهم الممزوجة بالخراب؛ فكتابة هذه السيرة تحدّ صارخ من الروائي اتجاه وضع لم يعد يحتمل، ولماذا غارسيا ماركيز بالذات؟ فلأنّه معروف عنه أنّه أبدع في رسم الشخصيات الطاغية في أمريكا اللاتينية في رواياته، لهذا يريده الروائي أن يكتب سيرة الجنرال الذي دام حكمه أزمنة طويلة، وحكم في أماكن مختلفة، وعاش أحداثا كثيرة؛ امتدّت عبر التاريخ ومازال يعيش في زمننا الحاضر، هذا الامتداد عبر الأزمنة والأمكنة ما هو إلا خلاصة الحكم الطاغية الذي يعيشه العالم العربي منذ الاستقلال إلى يومنا هذا.

<sup>1</sup> - سيرة بني هلال، روزلين ليلي قريش، طبع: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، موفقم للنشر، الجزائر، 1988م، د ط، ج 1، ص: د.

<sup>2</sup> - ينظر أحداث ذلك في كتاب: تغريبة بني هلال الكبرى الشامية الأصلية ورحيلهم إلى بلاد الغرب، وحرورهم مع الزناتي خليفة، وما جرى لهم من الجواهر والأموال، ديوان البتامي، مكتبة الأندلس، لبنان، ج 5.



## ج - اللّون:

يمثل اللّون أهمّ وأجمل ما يوجد في الطّبيعة والعالم المحيط بنا، وما يوظّفه الرّوائيّ من ألوان على غلاف الرّواية يرتبط بالحالة النّفسيّة للمبدع؛ لهذا يعتبر المحلّلون النّفسانيّون اللّون "تفسيرا لحالة فيسيولوجيّة وسيكولوجيّة ترتبط ارتباطا وثيقا بالنّفس البشريّة وتحولاتها".<sup>1</sup> وفي رواية "حضرة الجنرال" تزوجت ألوان الصّورة بين القاتم والفاتح، اللّون القاتم المتمثّل في الأحمر والبيّ والأسود الذي يدلّ دلالة واضحة على سوداويّة الوضع؛ الممزوج في كثير من الأحيان بالدم، وأنّ الأفق يبدو معتمّا مظلمًا لا ملامح للهدوء والهناء والأمن والسّلام، ولكن في وسط ذلك تكتب العبارات باللّون الأبيض وهو اللّون الفاتح، ليفتح أمامنا بصيصا من الأمل الذي سيتحقّق على اليد الثّائرين الرّافضين المتحدّين النّاقمين على ما نعيشه من خراب، وفي اللّون الأبيض طموح إلى صنع مستقبل إنسانيّ أفضل. وهذا هو دور المبدع على الرّغم ممّا يظهره من سوداويّة للواقع الرّاهن؛ لكن يعيش على أمل بيضاويّ أت في المستقبل القريب.

## د - النّصوص الاستهلاكيّة:

النّصوص الاستهلاكيّة التي قدّم بها الرّوائيّ روايته هي التي جعلت الرّواية تدرج في خانة الرّوايات السّياسيّة، فقد طرحها كمال قرور بشكل مباشر؛ ليكشف للمتلقي عن رؤاه الإيديولوجيّة وتوجّهاته السّياسيّة النّاقدة؛ بل اللّاذعة في نقد الاتّجاهات السّياسيّة، والقرارات، والقوانين النّظريّة والعملية، وأسلوب الحكم في كلّ الحقب الزّمنيّة المتعاقبة على العرش العربيّ. بدأها بالنّصوص الثّلاثة التّالية:

"إذا انحرفت الأرستقراطيّة وتحولّ أبناؤها إلى إيثار الثّروة على الشّرف؛ تحوّلت إلى الأوليغارشيّة (حكم الأقلّيّة) التي لجبها جعل الثّروة أساس الجدارة وهو إثم فظيع." أفلاطون.

"الأرستقراطيّة حكومة الأقلّيّة العادلة؛ إلّا أنّ الأوليغارشيّة فساد طبيعيّ لها."

أرسطو.

<sup>1</sup> - دلالات الألوان في التراث الشّعبيّ والدينيّ. عبيدة صبطي، مجلّة دراسات، جامعة عمّار لبيجي، الأنطا، العدد: 14، جوان 2000م، ص: 66.

"وأما مُلك الهوى فلعب ساعة ودمار دهر."

ابن المقفّع.

أول ما يسترعي انتباه القارئ لهذه النصوص هو مصطلح الأوليغارشيّة، وهي شكل من أشكال الحكم، أي أنّ السّلطة السّياسيّة محصورة بيد فئة صغيرة من المجتمع؛ يتميّز بالمال أو النّسب أو القوّة العسكريّة، يحصل الحكم الأوليغارشيّ "إذا ساء حال الديمقراطيّة وتحوّلت إلى أوليغارشيّة أيّ حكومة القلّة التي تسعى إلى جمع المال؛ بحيث لا يكون للفقير فيها أيّ نصيب، ولا للفضيلة أيّ حساب، وينتهي الأمر بانقسام المدينة إلى مدينتين: مدينة للأغنياء، ومدينة للفقراء، كلّ منهما تتأمر على الأخرى، ويملؤها الشكّ منها".<sup>1</sup> وكان أفلاطون هو أول من أشار إلى حكم الأوليغارشيّة في كتابه الجمهوريّة؛ حيث قسّم الحكم إلى الدّولة المثاليّة الجمهوريّة، ثمّ الدّولة الديمقراطيّة، ثمّ الأوليغارشيّة. وجاء أرسطو بعده، وقدم المزيد من التّفصيل لمواصفات حكم القلّة، وفي رأيه أنّ الأوليغارشيّة تنتهي دائماً بحكم الطّغيان، وتصبح مشكلتها الرئيسيّة هي الاستئثار بالسّلطة<sup>1</sup>. وقد ذكر ميكيافيليّ في كتابه المطارحات أنّ الأرسقراطيّة عندما تفسد تتحوّل إلى الأوليغارشيّة.

وهذا ما صنعه الأوليغارشيون بالوطن العربيّ وبأبنائه منذ استرجاع سيادتهم يد المستعمر الغاشم؛ فلقد استطاعوا احترام السّياسة بواسطة الجيش الذي زرع الرّعب السّياسي، واستثمروا في التّاريخ النّضاليّ الكبير والطّويل للشّعب، وتبنّوا مختلف الأنظمة السّياسة الرّأسماليّة والاشتراكية، وتظاهروا بالديمقراطيّة الاجتماعيّة لاستلاب السّلطة؛ معتمدين في استراتيجيتهم على فرض الأشخاص للرّئاسة والحكم، وتخدير المواطنين، وصناعة الدّساتير حسب المقاسات، وخلق التعدّدية الحزبيّة حسب المصالح، فوصل بهم المطاف إلى إدخال البلدان في دوامة العنف والعنف المضادّ؛ إنّه الإفلاس على مختلف الأصعدة! وما مكّمهم من ذلك خلال سنوات حكمهم هو التّحكّم في الموارد والثّروات؛ ممّا أدّى إلى تعطيل عجلة الاقتصاد، وتخدير الأهواء والوصول إلى لاوعي الشّعب، يروّجون للإستراتيجيات الفاشلة، يخلقون الأكاذيب، يغذّون الوهم، ويقتلون كلّ حلم أو أمل يلوّح في

<sup>1</sup> - جمهوريّة أفلاطون، د/ أميرة حلمي مطر، مطابع الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، د ط، 1994 م، ص: 39.

الأفق<sup>2</sup>. وما حدث يؤيده نصّ ابن المقفّع: "الملك ثلاثة: ملك دين، وملك حزم، وملك هوى، فأما ملك الدّين فإنّه إذا أقام لأهله دينهم؛ فكان دينهم هو الذي يعطيهم ما لهم ويلحق بهم ما عليهم، أرضاهم ذلك وأنزل السّاقط منهم منزلة الرّاضي في الإقرار والتّسليم. فأما ملك الحزم فإنّه تقوم به الأمور، ولا يسلم من الطّعن والتّسخّط، ولن يضرّه طعن الضّعيف مع حزم القويّ، وأما ملك الهوى فلعب ساعة ودّمّار دهر"<sup>1</sup> وابن المقفّع معروف بنقده اللادّع للمجتمع؛ وأعماله الأدبيّة عملت على توعية الحاكم والمحكوم على لسان الحيوان، وبسبب هذه المواقف اتّهم بالزندقة، ولقي حتفه كما لقيه أبو زيد الهلاليّ على يد الجنرال الزّغبّي.

ثمّ النّصّ الرّابع لـ أتين دي لابويسيّ وهو الأكثر إثارة لجذب القارئ، ليطمّع بنشوة القراءة، والذي يقول فيه: "أيّ قوّة والطّاغية واحد بينما احتملوه على كره بالملايين؟ أنقول: إنّه الجبن؟ قد يخشى اثنان واحدا، وقد يخشاه عشرة... أما ألف مدينة! إن هي لم تهض دفاعا عن نفسها في وجه واحد؛ فما هذا الجبن؟ لأنّ الجبن لم يذهب إلى هذا المدى، كما أنّ الشّجاعة لا تعني أن يتسلّق امرؤ وحده حصنا، أو أن يهاجم جيشا، أو يغزو مملكة؛ فأيّ مسخ من مسوخ الرّذيلة هذا الذي لا يستحقّ حتّى اسم الجبن، ولا يجد كلمة تكفي قبحه، والذي تنكر الطّبيعة صنعه، وتأبى اللّغة تسميته... مثل هذا التّوظيف هو مساهمة في إيقاظ وعي الإنسان، ورفع مستواه في فهم الوقائع الاجتماعيّة والسّياسيّة، ومنه تتضح فلسفة الرّوائيّ المتمثّلة في اقتناعه التّام أنّ الإنسان العربيّ أصبح راضيا بهذا الظّلم المسلّط عليه، وراضيا أن يستعيد في كلّ حقبة، ضيّع الإنسان العربيّ على نفسه فرصة تحديد مصيره، وترك مصيره يسيره الآخرون؛ فأصبح التّحكّم فيه كأنّه طبيعة لا يمكن تغييرها؛ لأنّه ببساطة شديدة تخلى عن مسؤوليته في حبّ التّغيير، وأنّ الله لا يغيّر ما يقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم.

#### ه - العناوين الفرعيّة:

كلّ العناوين الفرعيّة الموظّفة في الرّواية؛ تخدم العنوان الرّئيسيّ مباشرة، والنّصّ

<sup>1</sup> - ينظر: السّياسة، أرسطو طاليس، ترجمة: أحمد لطفى السّيد، الدّار القوميّة للطباعة والنّشر، د. بلد، د. ط، د. ت، ص: 40 وما بعدها.

<sup>2</sup> - ينظر: أدب الظّلم، الباحث/ أحسن جدي، موقع نظرة جزائريّة، 20 يونيو 2014م.

الروائي، وهي نقد سياسي صريح المعالم.

#### أ - يتامى الحقد السياسي على باب القصر الامبراطوري:

إذا كان يتامى الهلاليين نهضوا للثأر من ذياب لقتله آباءهم، واستيلائه على عرش حكمهم؛ فإن يتامى الرواية هم يتامى الحقد السياسي الذين ثاروا من جراء ما لحقهم من غبن وشقاء وظلم وتعتسف على يد الجنرال الطاغية، وأدى إلى الحرق تارة وإلى الحرق تارة أخرى، وهم اليوم يطالبون برحيل من تجبر وطغى، وأدى بالبلاد إلى شفير الهاوية، ويقولون على لسان الشاعر عادل صبياد: نحن لسنا بخير:

"أنا لست بخير

كنت أظن بأن الأرض ستحفظ من كان عليها

وأن الحاكم يحكم بالعدل

وأن الوقت سيحتاج لبعض الوقت فقط

كان يقيني في غير محله."

توظيف الروائي لهذه الأسطر الشعرية لعادل صبياد هو الآخر يمثل صرخة من الأعماق، قال الشاعر مالك بوزيبة: "أنا لست بخير لعادل صبياد قصيدة سكبت ملحا على جرح الوطن، وأشارت بأصبعها إلى عورات الجميع."<sup>1</sup>

#### ب - وادي الغباين: الفارس الرعبي راعي الغنم:

من هنا تولد حقد الجنرال على الجميع شعبا وحكاما، وهي نقطة حساسة في سيرة الرعبي وحياته، مثلت التحول والانقلاب من سلوك إلى سلوك آخر، والمنعرج الخطير الذي سار فيه ليقلب قوته جبروتا، استلهمها الروائي من التاريخ، وأسقطها بشكل فيه إبداع وفن في مسار حكاية الجنرال في الرواية، واتخذ منها نقطة تحول؛ ليكشف لنا عن حالة المرء النفسية عندما لا يقدر حق قدره، فذياب الرعبي فارس شجاع؛ لكن يُبعد عن ساحة المعركة ليتولى رعي الغنم في وادي الغباين، إذن فما النتيجة المنتظرة بعد أن حطّ البقية من قيمته؟ وهو يرى نفسه أكفأهم وأجدرهم لخوض الحرب الضروس ضدّ الرناتيين؟ إنّ

<sup>1</sup> - آثار ابن المقفع، عبد الله ابن المقفع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1409م - 1989م، ص: 250.

تسرب الحقد إلى نفسية هذه الشخصية المعتدة بنفسها، جعلتها ترسم لنفسها خطأ أحمر لا يحق للغير تجاوزه، وعندما حانت فرصة الوصول، وتحققت المطامح؛ أصبحت كالريح العاتية لا تبقي ولا تذر. وهكذا هم رجال السياسة في كل الأمصار والأزمان؛ إذا همشوا فترة اغتاضوا ونقموا، وإذا عادوا فترة أخرى عادوا أكثر ضراوة، وأشد قساوة؛ كأنهم سباع غاب متعطشة إلى النيل من فرائسها في كل لحظة.

### ج - الأميرة الخائنة سحرني:

لا يشفي غليل المنتصر بالقوة على أعدائه إلا النيل ممن تبقى من سلالة عدوه؛ خاصة إذا كان المتبقي امرأة، والمتمثل في الرواية في شخصية سعدى الأميرة الزناتية البربرية ابنة الزناتي، والتي أرادها رغبة في تقوية حكمه، وفي كسر كبرياء الجازية، لكنّها رفضته؛ مفضّلة عنه ابن أخته مرعي الأقلّ منه مالا ومنصبا، وفي ذلك هزل لكبريائه، وخطأ لقيمته، ويزيد في عجرفته امتناعها الشديد، ورغم قتله لها إلا أنّها بقيت كالغصّة في حلقه حين يتذكّر الرفض الذي لقيه منها؛ وهو الذي عاملها كأميرة، وليست كسبية، وأرادها مشاركة في حكمه. هي النفس البشرية وبالذات النفس المتسلطة؛ ترغب في كل ممنوع، فما بالناس بالسياسي الذي يعتقد أنّ كل شيء ملك يمينه.

### د - لا تتردد لحظة اقتل بدم بارد "من الأفضل أن يخشاك الناس على أن يحبوك":

نظريّة سياسية تبنّاها الطغاة من الحكام، فعندما ينشرون الرعب بين الناس بدل الحب، يخلو لهم الجوّ؛ وتضمن لهم هذه النظريّة البقاء، فلا منافسة، ولا معارضة، ولا كلام في السياسة، لأنّها من المحرّمات.

### هـ - "ستّ الغرب" أحرق زروعهم جوعهم:

"ستّ الغرب" هي أخت الزناتي الخليفة؛ تمكّنت بخداعها ومكرها من إدخاله في فتنة مع أهله وبني عشيرته؛ وأوصلته إلى قتل كل من كان عائقا أمام حصوله على الحكم والثروة وأبار البترول. الاسم مركّب من كلمة "ست" وهي لهجة مصرية تعني المرأة، مضاف إليها كلمة

<sup>1</sup> - مالك بوذبية، موقع فوبيا، 12 يونيو 2010م.

"الغرب"، وهو ما يسترعي انتباه القارئ، ويتساءل: لم لم يضيف إليها الروائي كلمة الشرق مثلا نسبة إلى أصولنا؟

إنّ الغرب ومن يوالهم من اليهود جهتان متّحدتان؛ تعملان بشتى الطرق لخلق النزاعات والفتن في أوطاننا، ومهب خيراتنا، وقد سجّل التاريخ أنّ وقوع العرب في مثل هذه الشباك كان دائما بواسطة النساء، سقوط الدولة الأندلسية بسبب شقروات أوروبا اللواتي كنّ جواري في القصور، وفي الحقيقة هنّ جاسوسات، سقوط الإمبراطورية العثمانية بسبب تدخل الجواري في الحكم منذ عهد سليمان القانوني وجاريته الروسية اليهودية ومن جاءت بعدها من الجواري الأوربيات<sup>1</sup>؛ حتّى الغرب لا يسلم من دسائس اليهود إن عارض مصالحه، من ذلك ما حدث للرئيس الأمريكي كلينتون وقصّته مع عشيقته لوينسكي؛ بحيث اعتبرها المحلّلون السياسيون وقتها دسيسة من اليهود لما عارض مصالحهم في الأرض المحتلة، وصدق من قال: "الديكتاتوري يقتله عشقه".

و – السّادة يعرّسون.. وأنا أمهرّس "ليست الحكمة بل السّلطة هي ما يصنع القانون":  
 ز – الأقدار التي نلومها تتوجنا "القوّة والزّيف هما الفضيلتان الأساسيتان في الحرب":

بندان آخرا من بنود النّظرية السياسيّة التي يتبناه الحكام الطّغاة.

ح – "الكتاب الأبيض" في شؤون الحكم والرّعيّة<sup>2</sup>:

تناصّ واضح يعود بنا إلى الكتاب الأخضر الذي وضعه الرئيس الليبيّ الرّاحل معمر القذافي؛ والذي خدم مصالحه فقط، وقتل المعارضة في مهدها، ولم يترك لها فرصة لمواجهته، أو مناقشة حكمه، أو معارضة قراراته، فهو الحاكم والعسكريّ والقاضي والجلاد، أيّ صاحب السّلطة المطلقة.

ط – السّلطة شرّ لا بدّ منه "تمسكن حتّى تتمكّن":

إذا أراد المرء بلوغ منصب سياسيّ عليه أن يكون منافقا، ويعتبر ذلك أيضا بندا من بنود

<sup>1</sup> - ينظر: قصّة الأندلس من الفتح إلى السقوط، د/ راغب السرجاني، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 1432هـ – 2011م، ج1،

ص: 130 وما بعدها.

<sup>2</sup> - ينظر: الكتاب الأخضر، معمر القذافي، دون دارنشر، د ب، د ت، د ط، ص: 05 وما بعدها.

النَّظَرِيَّة السِّيَاسِيَّة الَّتِي يُؤْمِنُ بِهَا الطَّامِعُونَ وَاللَّاهُثُونَ وَرَاءَ الْحُكْمِ، جَاعِلِينَ مِنَ التَّفَاقِ السِّيَاسِيِّ طَرِيقًا مَمْرَدًا بِالْكَذِبِ وَالزَّيْفِ وَالتَّمَلُّقِ؛ لِتَحْقِيقِ مَآرِبِ دُونِيَّةٍ، وَمَصَالِحِ شَخْصِيَّةٍ تَعْلُو عَلَى مَصْلَحَةِ الْأُمَّةِ، وَخَيْرِهَا وَفَلَاحِهَا.

#### ك - لن تستقيم السَّلْطَةُ إِلَّا بِتَصْفِيَّةِ آخِرِ الْخُصُومِ:

يشير هذا العنوان إلى أَنَّ بُلُوغَ السَّلْطَةِ يَعْنِي عِنْدَ الطَّغَاةِ سَفْكَ دَمِّ الْمَعَارِضَةِ، وَالْقَضَاءَ عَلَى الْخُصْمِ الَّذِي يَقِفُ حَجْرَ عَثْرَاءٍ، وَقَدْ أَتْبَعَهُ الرَّوَّائِيُّ بِنَصِّ ل: لا بُوَيْسِيَّ مِنْ كِتَابِهِ الْعِبُودِيَّةِ الْمُخْتَارَةِ يَقُولُ فِيهِ: "وَلَكِنْ مَا هَذَا يَا رَبِّي؟ كَيْفَ نَسَعِي ذَلِكَ؟ أَيُّ تَعَسٍ هَذَا؟ أَيُّ رَذِيلَةٍ أَوْ بِالْأَصْدُقِ أَيُّ رَذِيلَةٍ تَعْسَةٍ؟ أَنْ تَرَى عِدْدًا لَا حَصْرَ لَهُ مِنَ النَّاسِ لَا أَقُولُ يَطِيعُونَ؛ بَلْ يَخْدُمُونَ؛ بَلْ يَسْتَبِدُّ بِهِمْ، لَا مَلِكَ لَهُمْ، وَلَا أَهْلَ، وَلَا نِسَاءَ، وَلَا أَطْفَالَ؛ بَلْ حَيَاتِهِمْ نَفْسُهَا لَيْسَتْ لَهُمْ! أَنْ نَرَاهُمْ يَحْتَمِلُونَ السَّلْبَ وَالتَّهَبَ، وَضُرُوبَ الْقِسْوَةِ، لَا مِنْ جَيْشٍ وَلَا مِنْ عَسْكَرٍ أَجْنَبِيٍّ؛ بَلْ مِنْ وَاحِدٍ؛ لَا هُوَ هِرْقُلٌ وَلَا شَمِشُونَ..." مَرَّةً أُخْرَى يَعلِنُ الرَّوَّائِيُّ بِوِاسِطَةِ هَذَا النَّصِّ دَعْوَتَهُ إِلَى ضَرُورَةِ رَفْضِ الْعِبُودِيَّةِ؛ فَكَمَا اخْتَارَهَا الْإِنْسَانُ بِإِرَادَتِهِ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ قَادِرًا عَلَى التَّخَلُّصِ مِنْهَا بِإِرَادَتِهِ، وَيَدُ الْجَمَاعَةِ الْمُؤْمِنَةِ إِيمَانًا يَقِينًا بِحَقِّهَا الشَّرْعِيِّ فِي التَّغْيِيرِ؛ تَسْتَطِيعُ الْقَضَاءَ عَلَى الْفِرْدِ الْوَاحِدِ الطَّاغِيَةِ.

#### ل - امبراطورية "ميكي ماوس" كرنفال الديمقراطية وفرجة الحكم الراشد:

ميكي ماوس Mickey Mouse شخصية كرتونية من عالم والد ديزني Disney World، الشَّخْصِيَّة الْوَحِيدَةُ الَّتِي أُعْطِيَ لَهَا الْأَمَانُ لِتَقُولَ مَا تَشَاءُ فِي الْحُكْمِ وَالْحَاكِمِ بِكُلِّ دِيمُقْرَاطِيَّةٍ، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الْمَحْكُومِينَ أَلْسِنَتِهِمْ أُخْرَسَتْ خَوْفًا فَلَا تَقُولُ شَيْئًا؛ بَلْ تَصَفِّقُ لِلدِّيمُقْرَاطِيَّةِ الْكَاذِبَةِ فِي شُورَاعِ الْمَدِينِ، وَتَتْبَاهَى بِهَا عَلَى كِرَاسِي الْمَقَاهِي، مِمَّا يَثْبِتُ أَنَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ هُمُ الْأَقْدَرُ عَلَى الْاسْتِفَادَةِ مِنَ التَّارِيخِ، وَالْأَقْدَرُ عَلَى التَّغْيِيرِ الَّذِي لَا يَصْنَعُهُ الْكِبَاؤُ الْمُسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ.

ثمَّ كَرْنَفَالُ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ ذَكَرْنَا بِالْفِلْمِ الْجَزَائِرِيِّ السَّاخِرِ مِنَ الْوَضْعِ السِّيَاسِيِّ فِي الْجَزَائِرِ، وَالنَّاقِدِ لَطَرِقِ التَّسْيِيرِ الْإِدَارِيِّ كَرْنَفَالِ فِي دَشْرَةِ لَعْنَمَانَ عَرِيوَاتٍ؛ فَوَضَعْنَا السِّيَاسِيَّ مَا هُوَ فِي حَقِيقَتِهِ إِلَّا كَرْنَفَالًا لِلْفَرَجَةِ، وَالْحُكْمِ الرَّاشِدِ الَّذِي نَأْمَلُ الْوَصُولَ إِلَيْهِ هُوَ الْآخِرُ فَرَجَةٌ لِلتَّمَتِّعِ قَلِيلًا؛ ثُمَّ الْعُودَةُ إِلَى الْحَالِ الَّتِي كُنَّا، وَمَا زِلْنَا عَلَيْهَا.

### م - ربيع "الإمبراطورية" اليتامى "الثوارجية" رأس الحيّة:

لم تستطع الشعوب العربيّة الإطاحة بالحكّام المستبدّين إلّا بالقوّة، فكانت ردّة الفعل - للأسف الشّديد - بالمثل، أيّ نزع القوّة بالقوّة؛ فتولّد ما سمّي بالربيع العربيّ، الّذي أحدث ثورات، وقضى على رؤوس عديدة، ولكن هل حقّق الربيع العربيّ الحكم الرّاشد؟ هل نصّب العدالة الاجتماعيّة والديمقراطيّة على عرش الحكم؟ هل نجح في تحقيق الأمن والسّلم؟ صحيح أنّ الثّائرين تمكّنوا من زحزحة الديكتاتوريين وقتلهم بطريقة أو بأخرى، ومحاكمتهم، ونفهم، ولكن ماذا كانت النّتيجة؟ القوّة ولدت قوّة أعنف، والثّورات ولدت إرهابا، وقتل الفرد ولدت جماعات متفرّقة تقتل بعضها البعض. وتحقّقت قاعدة التّاريخ يعيد نفسه، فنحن لم نستفد من ثأريّتنا بني هلال لأبائهم وقتلهم للرّعيّ، ودخولهم بعد ذلك في صراعات تصفيّة، كلّ نسب يثأر لقبيلته؛ فلو أنّ التّغيير نبع من المنطق، ومن العقل، ومن الإقناع، ومن قوّة الإيمان؛ لما وصل وطننا العربيّ إلى ما آل إليه من تشرّد وتقتيل وجوع وسلب، فنحن أمة لا نقرأ تاريخها جيّدا، ولا تحفظ الدّروس، ولا تعتبر بما مضى.

### العتبات الداخليّة:

هناك عتبات عديدة وظّفها الرّوائيّ خلال السّرد، وأغلبها أسماء شخصيّات عربيّة أو غربيّة أو وطنيّة؛ أو تاريخيّة، وكلّها عُرِفَتْ بمواقفها السّياسيّة المعارضة، أو النّاقدة، أو النّاقمة، أو السّاخرة، أو الآراء المتميّزة بالحكمة والفطنة، وتمثّل هذه الشخصيّات في:

1 - الشّاعر عادل صيّاد المعروف بشعره النّاقد، ليس على السّاسة والحكم فقط؛ بل حتّى على المحكومين، وما يمتازون به من قلة الوعي، والغباء الّذي نسج على عقول أبناء الأُمّة؛ أعمى عيونهم على الحقّ، وهو ما دفعه إلى إعلان إنهاء تجربته الشّعريّة في إحدى قصائده.

2 - الجازيّة الأميرة الهلاليّة العربيّة زوجة أبي زيد الهلاليّ، وتمثّل دور المرأة في الحياة السّياسيّة العربيّة، وهي أكثر من أحبّ الجنرال من النّساء اللّواتي عرفهنّ، وأرادها إلى جانبه لتدعيم حكمه، وإعطائه مصداقيّة أكبر، لكنّها كانت له دائما بالمرصاد؛ فلم تحبّه، ولم تباعه، وفوق ذلك ألّبت عليه الثّوارجية يعني الثّوريين الّذين على أيديهم سقط حكمه.



وانهارت إمبراطوريته. وترمز الجازية إلى الجانب الإنساني النَّائم واليقظ في الوقت نفسه في نفسية كل طاغية، فهو يريد لها حباً وإنّما سندا، ويريدها أيضا ليثبت للأخرين أنه إنسان كغيره يمكن أن تقبله أكثر النساء عقلا ورجاحة وقوة؛ لِيُطْمَئِنَّ نفسه من جهة، ويبيّن للغير من جهة ثانية أنه شخص صالح ومرغوب فيه؛ لكنّ الجازية لم تمنحه فرصة تحقيق ذلك؛ فمات الجانب الإنساني فيه يوم قتلّ الجازية، وقتله الثَّوارجية.

3 - أيتمنقات وأغنيته القبائلية «يا بني» التي يصوّر فيها الحكم الاستبداديّ الجاثم على الشّعوب منذ القديم، وإقصاء الأخلاق من الممارسة السياسيّة، والمغفّي القبائليّ أيتمنقاتاشتهر أيضاً بمواقفه النضاليّة والقوميّة، وتعرّض للسّجن عامّ 1985م بتهمة الانتماء للمعارضة، قال عنه كاتب ياسين ذات يوم: "أيتمنقات واحد من أهمّ الشّعراء؛ إنّه الوحيد القادر على حشد الجموع، سواء كان يغنيّ في الجزائر أو خارجها؛ جموع تثير رعب قوى الاضطهاد، ممّا سبّب له مشاكل كثيرة مع الشّرطة."<sup>1</sup>

4 - عبد العزيز غرمول صاحب رواية «زعيم الأقلية السّاحقة»: قال عنه أحد الصّحافيين: "هو الزوّائيّ الذي أكلته السياسة مثلما أكلت بآلتها العمياء الكثير من الأعلام التي تحوّلت إلى كوابيس."<sup>2</sup>

5 - الدكتور عاشور فيّ وأهمّ قصائده: «الرّبيع الذي جاء قبل الأوان»، والتي أظهر فيها الخلفيات السياسيّة والاجتماعيّة التاريخيّة، وتطرّق إلى قضية سياسيّة عصفت بالبلد وأرهقتها، واستنزفت أبناءه، فالرّبيع الذي بدأ بأحداث أكتوبر 1988م في الجزائر<sup>3</sup>، تمخّضت عنه تعدديّة إعلاميّة وحزبيّة، أدّت في نهاية الأمر إلى الاستنزاف والتّقتيل البشع، ويستخلص فيها الشّاعر أنّ الرّبيع الحقيقيّ هو الحرّيات والإصلاحات.

6 - البروفيسور سعيد بوطاجين السّاخر، والزوّائيّ المورسيكيّ خوان غويتصُولو الصّحفيّ والمفكّر، ومن أكبر كتّاب الإسبان، المشتهر بنضاله ضدّ الجنرال فرانكو.

<sup>1</sup> - سعيد حطّيب، لونس أيتمنقات: شاعر الأغنية الأمازيغية، فقير يعشق الغزلان، جريدة الأخبار، العدد: 1375، آذار 2011م، ص: 20

<sup>2</sup> - عبد العزيز غرمول: رواي أكلته السياسة، الملحق الثقافي، جريدة يومية الحياة الجزائرية، سبتمبر 2014م.

<sup>3</sup> - ينظر ديوان: الرّبيع الذي جاء قبل الأوان، عاشور فيّ، اتحاد الكتّاب الجزائريين، الجزائر، د ط، 2004م.

7- ابن المقفع الذي بثّ آراءه السياسيّة على لسان الحيوان بمنهج قويم للحكم، وهذه الآراء كانت أحد الأسباب المباشرة لنهايته الأليمة.

كلّ هذه الشّخصيّات الموظّفة في الرّواية، لها مقصدية واضحة؛ تتجلّى في كونها شخصيّات واقعية تعيش مع الرّفص، وتتولّى أمر النّقد، وتسعى إلى نشر الوعي السياسيّ بين أفراد المجتمع؛ لهذا لقيت صراعا ورفضاً وكرها من الجنرال ذياب الرّغبيّ.

#### الخاتمة:

- على الرّغم من أنّ رواية «حضرة الجنرال» تحمل رؤيا سياسيّة صريحة؛ تتوضّح فيها طريقة الحكم الديكتاتوريّ في الوطن العربيّ؛ إلا أنّها تحمل في طياتها رؤى أخرى مختلفة؛ تتمثّل في الأوضاع الاجتماعيّة التي يعيشها الشّعب، والحالات النفسيّة التي تنتاب الحاكم والمحكومين المتمثلة أساسا في الشّعور بالخوف، ولا أمن.

- أبداع الزوّائيّ في تصوير الحالة النفسيّة لشخصيّة الحاكم الطّاعي؛ التي تصل في حالات التّوتر النفسيّ الشّديد إلى قمة الجنون؛ فلا يرفّ لها جفن في اللّحظات التي يتعمّد فيها إزهاق أرواح الأبرياء الأقوى منه حكما، وندا له في الشّجاعة، وإراقة دماء المعارضين لسياسته الطّاغية.

- أظهرت الرّواية من خلال شخصيّة البطل الثّقافة المتنوّعة والمعرفة الواسعة للرّوائيّ كمال قرور، والقدرة على استغلال هذا التّنوع في بناء عمله الإبداعيّ.

- تمثّل الرّواية - أيضا- حلم مبدع وغيره من النّخبة الواعية في تحقيق الديمقراطيّة العادلة التي يجب أن ينحني أمامها الحاكم والمحكوم؛ حتّى تنتشر وتتحقّق في تراب الوطن العربيّ، وهو مشروع سياسيّ يتجسّد بتضافر جهود طرفين: جهود الطّبقة السياسيّة الواعية، وجهود المجتمع المدنيّ، وما يؤمنان به من قيم حضاريّة، وسلوك قويم، وأخلاق رفيعة.